قصة الغاب

وظلّ موجلي يرقب النار، وما يحدث بها كلما ألقى فيها الأغصان الجافة. فلم يأت عليه آخر النهار حتى كان على علم بما يصلح من الأغصان لإيقادها. وفي المساء جاءه تابا كوي، وقال له بغلظة: «إنهم يطلبونك عند الصخرة» فضحك موجلي ضحكا عاليا، ذعر له تابا كوي، وفر هاربا. سار موجلي إلى المجلس، وهو مازال يضحك ببلاهة.

وكان أكيلا راقدا بجوار الصخرة دلالة على أن مركز الرئيس خال لمن يطلبه. أما شيرخان فكان يمشي مختالا بين زمرة من أتباعه الذئاب.

وتكامل عدد القطيع، وكان باغيرا جالسا بجوار موجلي، والموقد بين ركبتيه. وإذا بشيرخان يبدأ الكلام — وما كان ليجرؤ على هذا، وقت أن كان أكيلا صاحب السلطان.

فهمس باغيرا في أذن موجلي، قائلا: «قف واعترض على هذا، إنه ليس لشيرخان حق الكلام، فإن مثل هذا القول لاشك يخيفه».

فانتصب موجلي واقفا، وصاح بهم: «يا معشر الشعب الحر، هل أصبح شيرخان قائدا لنا؟ ما شأن النمر معنا؟»

فقال شيرخان: «إن مركز الرئيس خال، وقد طلب إلي الكلام».

فقاطعه موجلي قائلا: «من الذي طلب منك الكلام؟ ماذا جرى لنا حتى يرأسنا قصاب (جزار) مثلك؟ إن رياسة القطيع شأن من شئوننا الخاصة، لا دخل لأحد فيه».

فصاح بعض الذئاب في وجه موجلي، قائلين: «اسكت، ودعه يتكلم»، ثم صاح بعض كبار الذئاب قائلين: «ليتكلم إذن الذئب الفاني» وكان من عاداتهم أن يطلقوا هذا الاسم دائما على الرئيس الذي يفشل في صيده.

رفع أكيلا رأسه العجوز تعبا، وخاطبهم قائلا: «يا معشر الأحرار،» ثم التفت إلى الذئاب الصغيرة، وقال: «وأنتم أيضا يا أذناب شيرخان لقد توليت رياستكم اثني عشر عاما كاملة، فلم ينل أحدا منكم ضر ولا أذى. وها أنا قد فشلت في صيدي الأخير. وأنتم تعلمون كيف أحكمتم تدبير المكيدة، وجعلتموني أواجه أيلا شرسا لم أقو على الفتك به. والآن لكم أن تقتلوني هنا فوق الصخرة. فمن منكم يتقدم للقضاء علي؟ إن قانون الغابة يجعل من حقي أن أقاتل كم واحدا واحدا».

وهُنا سادَ سُكونٌ طَويلٌ ، ولَمْ يَجْرُؤْ واحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ نَحْوَ أَكيلا لِيُقاتِلَهُ حتى المَوْتِ . فَصاحَ بِهِمْ شِيرْخانُ : « ما لَنا ولِهذا الضَّيفِ الأَهْتَمِ ؟ لَقَدْ قُضِيَ عليهِ بالمَوْتِ ! إِنَّ موجلى شِبْلَ الإِنْسانِ هو الَّذِي قَدْ عاشَ أَكثَرَ مِمَّا يَسْتَحِقُّ ! يا مَعْشَرَ الأَحْرارِ ، أَتَذْكُرونَ أَنَّهُ كانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ طَعاماً لِي مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ . اعْطُونِيهِ . لَقَدْ سَئِمْتُ مِنْ سُخْفِهِ ! إِنَّهُ إِنْسانٌ وابْنُ إِنْسانٍ ! وإِنِّي أَمْقُتُهُ مِنْ أَعْماقِ قَلْبِي ! »

فَصاحَ صِغارُ الذِّئابِ : « إِنْسانٌ وابْنُ إِنْسانٍ ! ! ما عَلاقَةُ الإِنْسانِ بِنا ؟ دَعوهُ يَذْهَبُ إِلى بَنِي جِنْسِهِ » .

فقالَ شيرخانُ : « أَتُرِيدونَ أَنْ تَدَعُوهُ يَذْهَبُ لِيُثِيرَ عَلَيْنا أَهلَ القَرْيَةِ ؟ دَعوهُ لِي ! »

فَرَفَعَ أَكيلا رَأْسَهُ مَرَّةً ثانِيَةً ، وقالَ : « لَقَدْ أَكَلَ مِنْ طَعامِنا ، ونامَ وَسْطَنا ، وساعَدَنا في الصَّيْدِ ، ولَمْ يَهْزَأْ بِقانونِ الغابَةِ » .

وهُنا تَدَخَّلَ باغيرا في الأَمْرِ ، وقالَ بِصَوْتٍ هادِئٍ رَقيقٍ : « لا تَنْسَوْا أَنِّي دَفَعْتُ عنهُ الفِداءَ عِنْدَ قَبُولِهِ بِالقَطِيعِ . إِنَّ الثَّوْرَ الَّذِي افْتَدَيْتُهُ بِهِ لَيْسَ بِالشَّيْءِ الكَثِيرِ ، ولَكِنَّ شَرَفِي أَمْرٌ آخَرُ . سادافِعُ عنهُ إِذا اقْتَضَى الحالُ » .

قالَ أَكيلا : « إِنَّهُ أَخونا في كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ الدَّمَ . وبالرَّغْمِ مِنْ هذا فَأَنْتُمْ تُرِيدونَ قَتْلَهُ . أَنْصِتُوا لِي ! الحَقُّ أَنَّنِي عِشْتُ طَوِيلاً ، ولا بُدَّ لِي أَنْ أَمُوتَ . ولَوْلا أَنَّ حَياتِي لَبِسَتْ بِذاتِ قِيمَةٍ لَقَدَّمْتُها فِداءً لِشِبْلِ الإِنْسانِ . ولَكِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْقِذَ شَرَفَ القَطِيعِ ، ذلكَ الشَّرَفَ الَّذِي نَسِيتُمُوهُ لا لِسَبَبٍ إِلاَّ لأَنَّكُمْ مِنْ غَيْرِ رَئِيسٍ . إِنِّي أُعِدُكُمْ — إِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَذْهَبُ إِلى أَهْلِهِ — أَلاَّ أُؤْذِيَ مِنْكُمْ أَحَداً ، وَأَنْ أَمُوتَ في هُدُوءٍ وَمِنْ غَيْرِ قِتالٍ . وسَيُوَفِّرُ هذا عَلَى القَطِيعِ ثَلاثَةَ رُؤُوسٍ عَلَى الأَقَلِّ » .

فَصاحَ الذِّئابُ : « ولَكِنَّهُ إِنْسانٌ ! إِنْسانٌ ! »

عِنْدَ ذلكَ مالَ باغيرا عَلَى موجلى ، وقالَ لهُ : « الأَمْرُ ، الآنَ ، في يَدَيْكَ ، ولَيْسَ أَمامَنا إِلاَّ القِتالُ » .

فانْتَصَبَ موجلى واقِفاً ، والغَضَبُ بادٍ في عَيْنَيْهِ ، ثُمَّ صاحَ بِهِمْ : « كَفَى ثَرْثَرَةً مِنْ ذلكَ الكَلْبِ شِيرْخانَ . لَقَدْ كُنْتُ أَعْتَبِرُ نَفْسِي أَخاً لَكُمْ ، وَكُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أَبْقَى مَعَكُمْ إِلى آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَياتِي . أَمَّا اليَوْمَ — بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُهُ مِنْكُمْ — فَلا

وأخذ موجلى يلوح بالغصن المشتعل والذئاب تعدو أمامه فزعا

أُعِدُّكُمْ إلاَّ كِلابًا . ليسَ لكمْ أنْ تقرِّرُوا ما يجبُ عملُهُ او ما يجب ترك . إن الأمر لى — ولى وَحدِى . » قال هذا ، ثم قَذَفَ الأرضَ بالنارِ ، فاشتعلتْ بعضُ الحشائشِ الجافَّةِ ، وأضاءتْ الجوَّ ، فتراجعَ الجميعُ هَلَعًا .

أمسكَ موجلِى غُصْنًا جافًّا وأشعلَ النارَ فيهِ ، ثمَّ خاطَبَهمْ قائلاً : « هأنتمْ جميعًا كِلابُ جُبنَاء ! أنتمْ فى قبضةِ يَدِى الآنَ ! ولكنِّى سأكونُ أرحمَ بكمْ ممَّا كنتمْ بى ، وأُعِدُكمْ ألاَّ أخونَكمْ إذا رجعتُ إلى قومى ، كما خُنتمُونى أنتمْ » .

ثم سارَ إلى شيرخانَ الذى كانَ ينظرُ إلى النارِ المشتعلةِ بذُعرٍ شديدٍ ، وأمسكَ ذَقَنَهُ ، وقال لهُ : « انهضْ أيُّها الكلبُ ، انهضْ عندما يُخاطِبُكَ الإنسانُ ، وإلاَّ أشعلتُ النارَ فى شَعْرِكَ . لقد كنتَ تقولُ منذُ لحظةٍ إنك تُريدُ قتلِى ! نحنُ معشرَ الإنسانِ هكذا نضربُ الكلابَ » ! ثمَّ أخذَ يلطمُ شيرخانَ على رأسِهِ ، وهو لا يجرؤُ أن يُبدِىَ حراكًا . ثم قالَ : « اذهبِ الآنَ ولا تنسَ أنى عند ما آتى إلى مجلسِ الصخرةِ مرةً أخرى سيكونُ جلدُكَ على كتفِى » . ثمَّ نظرَ إلى القطيعِ وقالَ : « إنَّ أكيلا يجبُ أن يعيشَ حُرًّا كما يُريدُ : لنْ تقتلُوهُ ! هذه مشيئتى ! أسمعتُمْ ؟ اذهبُوا ! »

وأخذ موجلى يلوِّحُ بالغصنِ المشتعلِ ذات اليمينِ وذات اليسارِ ، والذئابُ تعدُو أمامَهُ فزعًا .

وهُنا كان التأثُّرُ قد بلغَ من موجلى مبلغًا عظيمًا ، فأخذَ يبكى بُكاءً حارًّا ، وقد خُيِّلَ إليهِ أنَّهُ يموتُ ، لأنَّ هذه كانت أوَّلَ مرَّةٍ تنزلُ الدموعُ فيها من عينَيْهِ .

ثم قالَ : « سأذهبُ الآنَ إلى بنى جِنسِى ، ولكنْ يجبُ علىَّ أوَّلاً أن أُودِّعَ أُمِّى » . ثم سارَ نحوَ الوِجارِ ، وودَّعَ الذئبةَ الأمَّ ، ودموعُهُ تتساقطُ على شَعْرِها . ثم قالَ لها : « أرجُو ألاَّ تنسَيْنِى » . فأجابتْ : « لا تنسَاكَ مدَى حياتِنا . عُدْ إلينا أيُّها الإنسانُ الصغيرُ . لقد أحببْتُكَ أكثرَ مما أحببْتُ أشبالِى » . فقال : « سأعودُ من غيرِ شكٍّ . لا تنسَوْنِى ! لا تنسَوْنِى ! »

وكان الفجرُ قد لاحَ ، عندما سارَ موجلِى وحدَهُ بجوارِ التلِّ ، متَّجهًا نحوَ القريةِ ، ليلاقىَ تلكَ المخلوقاتِ الغريبةَ ، المعروفةَ بينى الإنسانِ .

سفينة نوح

الطفل : بعد أن سمع قصة سيدنا نوح من جده ، « وهل ركبت سفينة نوح ياجدى » ؟

الجد : « لا يا عزيزى » .

الطفل : « إذن كيف نجوت من الطوفان » ؟